

العدوان على غزة [٢٠٠٩-٢٠٠٨]

ما الجديد بالنسبة للأمتى في العالم؟

محمد كمال محمد - مدحت ماهر

إشراف: د. نادية مصطفى - د. سيف الدين عبد الفتاح

ويتمثل جديد إعداد هذا العدد في طريقة الاستكتاب والكتابة. فقد تم توجيهه أغلب مادة هذا العدد ضمن أربعة من الفعاليات النقاشية وال الحوارية: ملتقى خاص مع المستشار طارق البشري، وندوتين محدودتين لخبراء متخصصون في المجالات والرؤى واحدة إبان واقعة العدوان، وأخرى بعد عام منه)، وجزء ثالث نهض فيه مجموعة من شباب الباحثين الذين قاموا منذ بداية العدوان ولده ثلاثة أشهر برصد المواقف المختلفة في الأمة وعبر العالم من العدوان على غزة، وتم عرض نتائجه في مؤتمر حاشد. يُضمّ إليها استكتاب آخر لخمسة من شباب الباحثين حول خمس من القضايا التي بُرِزَتْ عبر العام. وبهذا تكاملت لدينا صورة عامة نحاول في هذه المقدمة بيان معالها من منظور العدوان على غزة ٢٠٠٨-٢٠٠٩: ما الجديد بالنسبة للأمتى في العالم؟

وفيما يلي نستعرض مجلماً محتويات هذا العدد على محورين: خلاصات الأوراق والتقارير المختلفة، ومعالج الجديد في مشهد «أمتى والعالم» و«أمتى في العالم».

أولاً- نظرة عامة على الأوراق والتقارير:

في مفتتح الجزء الأول من الحلقة : عالم الأفكار والرؤى، يتناول د. سيف الدين عبد الفتاح معركة الذاكرة الحية وصراع المعاني، مؤكداً أن المقاومة عملية معرفية وثقافية وفكورية واجتماعية وسياسية واقتصادية شاملة، حضارية في محتواها، وحضارية في مقاصدها، تملك عناصر تمكينها من المفاهيم الحرية التي تشكل أساس خطابها للأمة «مفاهيم الحرية

يأتي هذا العدد التاسع من كتابنا غير الدوري «أمتى في العالم»، ليس فقط الضوء على واقعة مركبة كاشفة وفارقة في تطورات أوضاع الأمة العربية والإسلامية؛ إلا وهي واقعة العدوان الإسرائيلي على غزة، والتي جرت أواخر العام ٢٠٠٨ وأوائل العام ٢٠٠٩ واستمرت تداعياتها وامتداداتها تتواتي عبر العام المنصرم برمته. لا شك أن العدوان على غزة إنما هو حلقة في سلسلة من العدوان المتصل على أرجاء عالمنا، وقطرة في بحر هادر من الدماء والكرامة العربية والمسلمة المهردة عبر نواحي المعمورة. ومع هذا فمن المهم مراقبة التوازن ورصدها، وتبيّن المواقف المختلفة من قضايانا وتحليلها، والوقوف على دلالات كل هذا من منظور حضاري مقارن، يكشف ويميز، ويزن ويقيّم، ويفتح المجال أمام واجب الوقت وأولوياته.

هذا، وقد جرى تخطيط هذا العدد على نحو مقارب للأعداد الأخيرة، ومتسق مع الإطار العام لمنظومة «أمتى في العالم» وهيكלה. فالخيط الناظم للعدد - وإن تحدد في «واقعة العدوان» وتفاعلاته العالم من حول الأمة معه- إلا أن طريقة تناوله بالرصد والتحليل تتحرك به صوب ما يساوئه من عالم أفكاره، وما يلحق به من عالم مؤسساته ورموزه، وتنظم في قراءاته الأبعاد المختلفة: عسكرية واستراتيجية وقانونية وسياسية واقتصادية وثقافية وتاريخية؛ بما يحقق أهداف الرؤية الحضارية (الكلية الجامحة) لعالم أحداث الأمة.



الانقسام العربي والانقسام الفلسطيني ووجود عناصر إستراتيجية في الاستراتيجية الأمريكية لدى إدارة أوباما تتعلق بحماية الدولة الإسرائيلية. وهذه العناصر لن تتغير ولو بعد مائة عام مع وجود تغير في عناصر إستراتيجية أخرى كان يعتبرها سلفه خطأ أحمر.

وفي ختام هذا الجزء ييلور د. سيف الدين عبد الفتاح رؤية حضارية في النظر إلى العدوان تؤسس لفهم «الحضاري» وتقرأ ما جرى من خالله. موضحاً أن الحضاري فكر متجدر في إطار مرجعي معياري، ومنضبط بنهج موضوعي متناسق، وهو خطاب واقعي عملي يواجه مشكلات الإنسان والحضارة، كما أنه فكر يمتد شمولاً باتجاه استيعاب الآخرين عالمياً وإنسانياً، مؤكداً أن المقاومة عملية حضارية واستراتيجية ممتدة وما جرى في غزة العزة مثال واضح على ذلك.

يضم الجزء الثاني (عالم الأحداث) والثالث (عالم المؤسسات) من الحلقة أعمال مؤتمر «العدوان على غزة: خريطة الحدث والدلائل الحضارية» الذي عقده مركز الحضارة للدراسات السياسية بالتعاون مع مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في ٢١-٢٢ أبريل ٢٠٠٩، والذي قدم فيه مجموعة من شباب الباحثين تقارير ترصد العدوان ومواقف مختلف الأطراف منه في بؤرة الحدث والدائرة العربية والدائرة الإسلامية، والغرب والقوى الكبرى. كما عرضت التقارير لواقف عالم المؤسسات، بالإضافة إلى الرأي العام والبعد الاقتصادي للعدوان.

في بؤرة الحدث تناولت التقارير مواقف الطرفين الرئيسيين: الكيان الصهيوني والشعب الفلسطيني. فعرضت ألبني السبيلاجي الدلائل الحضارية في خطابات فصائل المقاومة: حركة حماس التي تم التركيز عليها بشكل أساسي، وحركة الجهاد، وألوية الناصر صلاح الدين. فرصدت المنظومة الشاملة التي اعتمدتها المقاومة في حربها مع إسرائيل؛ المنظومة التي جمعت الأسباب المادية والقيمية والعقائدية، أو ما يسمى أسباب الأرض وأسباب السماء. فقد مزجت حماس في خطابها بين اليقين بنصر الله والاستناد إلى تاريخ الأمة وذاكرة التاريخ الإنساني في التدليل على انتصار المقاومة عبر التاريخ. وانتهت استراتيجية استخدمت فيها جميع الآليات لمواجهة الاحتلال: العسكرية منها والدبلوماسية والسياسية والتحرك الشعبي والإعلام. ومن ثم كانت المقاومة التي شهدتها أرض غزة وشهدتها العالم كله مثالاً واضحاً لمعنى المقاومة الحضارية الشاملة، اجتمع فيها القيمي والمادي.

ولاستكمال الصورة على الجانب الفلسطيني كان لابد من رصد موقف السلطة الفلسطينية وحركة فتح وعرب ٤٨ من العدوان، وهو ما تناولته أ. هبة السيد. فقد عبرت السلطة

والتحرر» في مواجهة مفاهيم «العدو والعدوان والعبودية والاستسلام». ويخلص إلى القول بأنه ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطط إلا كان أمره في ذهاب وإدبار. ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة ويركبهم بها ويسعّرهم عظمته فيها، ويستحوذون عليهم، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني فالحكم على ماضيهما بالقتل محوًّا ونسيناً، وأما الثالث فتقيد مستقبلاً في الأغلال التي يصنعواها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع. إنه السند الحضاري الموصول: الذاكرة واللغة والمعاني.

ثم تقدم دنادلة مصطفى قراءة حضارية للعدوان على غزة، وهي حضارية: لأنها تستدعي أكثر من مجرد موازين القوى المادية على الأرض؛ ممتدة إلى التاريخ القريب منه والبعيد، وإلى الأمة برمتها وسياقها العالمي وتستدعي مرجعية الأمة الحضارية وتاريخها ومصالحها الآنية والمستقبلية. ركزت هذه القراءة على مشاهد أربعة: مشهد المظاهرات على كل من الصعيد العربي والإسلامي والعالمي تضامناً مع غزة ضد إسرائيل، مشهد النظام العربي، مشهد مقاومة فلسطين في غزة، مشهد أركان الأمة الثلاثة: تركيا- إيران- مصر (العرب)، ودبلوماسية وقف العدوان على غزة. وتشير إلى أن العدوان على غزة كان كاسفاً لهذه المشاهد ومفاصلاً نوعياً في الصراع العربي- الإسرائيلي والقضية الفلسطينية.

ثم تأتي أعمال ندوة «كيف نقرأ مشهد العدوان على غزة» التي عقدها مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في الثاني من فبراير ٢٠٠٩ لتقدم رؤى قانونية وعسكرية وسياسية وحضارية للعدوان.

فعن القانون الدولي والمقاومة يقدم د. محمد شوقي رؤية قانونية للعدوان، مثيرةً إلى أنه ما من منظمة دولية واحدة بدءاً بالأمم المتحدة مروراً بكل المنظمات الإقليمية المعنية إلا وقد أقرت الحق لكل حركات التحرر والمقاومة الشعبية في حمل السلاح، ويرى إمكانية اللجوء مباشرةً إلى محاكم الدول التي تقبل الاختصاص العالمي فيما يتعلق بالجرائم المرتكبة ضد الإنسانية لفائدة إسرائيل على جرائمها في غزة.

وفي رؤية عسكرية يرى العميد صفو الزيات أن العدوان على غزة يعد من حروب الجيل الرابع وهي حرب عصابات مدینية ويسمونها «حرب تمرد عصر المعلومات»، يكون التركيز فيها من جانب الطرف الأقوى على التدمير، بينما يكون التركيز على الطرف الأضعف على عقلية صانع القرار السياسي. ويخلص إلى أن إسرائيل لم تحقق أهدافها من العدوان.

ويستعرض د. مصطفى علوى العدوان من منظور رؤية سياسية تركز على قيود الواقع الإقليمي والدولي؛ حيث

كل التنبؤات والإشارات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس بما يحقق أهدافها في عودة (المخلص الإله)، وصارت أرض الميعاد حقيقة روحية وليس رقعة جغرافية مادية، وظهرت الحركات الدينية والجماعات الأصولية الإنجيلية التي تسعى لتحقيق هذا الهدف، وتتمثل فكرة المسيح المنتظر لب تصورات هذه الحركات والجماعات.

وفي الدائرة العربية تم استعراض مواقف كل من مصر وال سعودية والعراق، بالإضافة إلى مواقف دول الشام ودول المغرب العربي. فرصد أ.أحمد أبو المجد خطابات الموقف المصري ومارسته. فقد أدان الخطاب الرسمي للعدوان ودعا لوقفه فوراً، وركز على الدور التاريخي لمصر في دعم القضية الفلسطينية، ومهاجمة من وصفوا بالزيادة على هذا الدور. كما ناقش التقرير الانتقادات التي وجهت لمصر الرسمية فيما يتعلق بمعبور رفع وتصدير الغاز لإسرائيل والعلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، والموقف من عقد قمة عربية تناقش العدوان والتضييق على المظاهرات التي شهدتها معظم المحافظات للتنديد بالعدوان. وفي إطار الممارسة عرض التقرير للمبادرة المصرية لوقف الحرب ودعوتها للمصالحة بين الفصائل الفلسطينية واستضافتها لمؤتمر إعادة الإعمار. وعلى المستوى غير الرسمي، ركز التقرير على موقف الإخوان المسلمين وبعض أحزاب المعارضة من العدوان ودور الدعم الشعبي ومؤسسات المجتمع المدني في تقديم العون لأهل غزة الصامدين.

ورصد أ.أمجاد جبريل موقف السعودية وال العراق من العدوان، فاستعرض محددات الموقف السعودي الرسمي وكذلك المراحل التي مر بها وتقيم هذا الموقف مقارنة بما حدث إزاء العدوان الإسرائيلي على لبنان في العام ٢٠٠٦. كما تطرق الموقف غير الرسمي خصوصاً الفتاوى التي صدرت عن بعض علماء المملكة. ويشير إلى أن حالة الإفتاء السعودية عبرت عن درجة من التفاوت، وتساوقت أكثر الفتاوى مع الموقف الرسمي، وابتعد بعضها عنه، لكن دون الوصول إلى حد التصادم معه. وغاب الشارع عن الفعل بقرار رسمي صارم، ما خلا في مسألة التبرعات والأنشطة الطالية المقيدة.

وفي تناوله للموقف العراقي أشار إلى خصوصية الموقف، فعرّاق ما بعد الاحتلال يمر بظروف غير طبيعية، ومن يتصرف بالعراق حالياً هي قوى سياسية ذات ولاءات متعددة تصل إلى حد التضارب. تناول التقرير الموقف الرسمي من العدوان على غزة، فاستعرض فيه موقف الحكومة العراقية، وموقف هيئة الرئاسة العراقية، وموافق بعض القوى البرلانية. كما ناقش موقف قوى غير رسمية من العدوان كهيئة علماء المسلمين بالعراق وأذرع المقاومة العراقية والمظاهرات التي قامت بها الجماهير العراقية في يوم الغضب من أجل غزة.

الفلسطينية منذ أول أيام نشوب العدوان الإسرائيلي على غزة عن تندیدها بالحرب، والتعبير عن استنكار إراقة الدم الفلسطيني في قطاع غزة وابداء مظهر المسؤول «من منطلق وطني» عن القطاع كما الصفة واتخاذ بعض الإجراءات والمظاهر الموحية بهذا الأمر سواء في الداخل أو على مستوى الخطاب الخارجي في المحافل الدولية. وعبرت عن موقف داع للحوار مع حماس بهدف تشكيل حكومة وحدة وطنية، بما لم يَحُلْ من تحويل الأخيرة مسؤولية شن العدوان في ظل سياساتها السابقة عليه. وبعد الحرب عاودت السلطة الهجوم على حماس، وتعثرت جهود المصالحة بينهما، ولم يختلف موقف حركة فتح عن السلطة. أما فلسطيني ٤٨ فقد تصاعدت أصوات الغضب منهم ب مختلف فناتهم العمري على الصعيد الشعبي إلى جانب النخبة. تجسد هذا الغضب في انتلاق تظاهرات حاشدة طيلة أيام الحرب الإسرائيلية على غزة تحمل شعارات «شعب واحد.. ألم واحد».

أما الداخل الإسرائيلي فقد قام برصده أ.هبة الله ناري، وأ.محمد عبد الله، حيث أشارا إلى عدم اختلاف النهج الصهيوني الوحشي خلال العدوان عن النمط العام للمواجهات العسكرية التي انخرطت فيها إسرائيل منذ عام ١٩٤٨. ويلاحظ التقرير تصاعد المكون الصهيوني والأصولية اليهودية في المجتمع الإسرائيلي؛ حيث كان العدوان على غزة محل اتفاق غالبية التياريات السياسية الإسرائيلية قبل انتخابات الكنيست الثامنة عشرة لاجتذاب تأييد الرأي العام الإسرائيلي الذي تحول نحو اليمين السياسي وأضحت غالبية قطاعاته تؤيد بصور واضحة استخدام القوة العسكرية. كما اتضحت دور الجماعات الأصولية الدينية في العدوان من خلال النشاط التبشيري في الجيش الإسرائيلي لنشر الأفكار الدينية العنصرية لتصوير العدوان على أنه حرب مقدسة. ولم تؤد ما يُسمى «جماعات السلام» دوراً نشطاً في معارضه الحرب والتنديد بالعدوان على مستوى الخطاب والممارسة، مما أخفى تأييدها ضمناً من جانب قادتها للعدوان. ولم يحقق العدوان الصهيوني هدفه في تدمير قدرة المقاومة على إطلاق الصواريخ على مدنه الجنوبية.

وفي ختام هذا المحور تناولت د. سالمة عبد الجبار الأبعاد الدينية للصراعات الحضارية، مركزةً على الصراع العربي الإسرائيلي، فأشارت إلى أن الحركة الصهيونية حظيت منذ تكوينها بعطف ودعم لا يُضاهى في شتى المجالات من الغرب المسيحي، الأمر الذي أدى إلى قيام ما يُعرف بالكيان الصهيوني. ويرجع هذا الدعم والتآييد المتواصل لإسرائيل إلى أسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية وإلى جهد دعوب ومنظمه بذاته الكنيسة الغربية عبر العصور. وقد حافظت الكنيسة على موقفها من المسألة اليهودية وفسّرت بذلك

التركي، توجه تركياً بين الغرب أو الشرق، نموذج الديمocrاطية التركية وأثره على الجماهير العربية.

أما الموقف الإيراني فقد رصده أشيماء بها، فأشارت إلى أن الخطاب الإيراني كان دائم التشديد على صمود المقاومة، وقدرتها على تحقيق النصر حتى قبل انتهاء العمليات العسكرية. إلا أن التحركات الإيرانية لم تحدث أثراً كبيراً على الأرض مثل نظيرتها التركية على وجه التحديد،أخذًا في الاعتبار توقيت العدوان الذي يشهد بروز عدة متغيرات دولية وإقليمية وداخلية فرضت معطياتها على إيران، لاسيما في ظل البراجماتية المعهودة للسياسة الخارجية الإيرانية. وبخلص التقرير إلى القول بأن السبيل الوحيد لنصرة القضية الفلسطينية وسائر قضايا العالم الإسلامي هو التخلي عن سياسة المحاور قوله وفعلاً، حيث إن المرحلة الراهنة إنما تفرض تكامل الأدوار كأمر لا غنى عنه، خاصة بين أركان الأمة الأساسية وهي: مصر، السعودية، سوريا، إيران، تركيا.

وتستعرض أسمير سيد مواقف باكستان وأفغانستان ودول آسيا الوسطى، فتشير إلى استغراق باكستان في شأنها الخاص على المستويين الخارجي والداخلي واقتصار الحكومة على عبارات الإدانة. وعلى المستوى غير الرسمي كانت الدعوة لنصرة أهل غزة والمطالبة بالجهاد ضد إسرائيل. وفي أفغانستان أوضح التقرير ضعف بيانات الإدانة الصادرة عن الحكومة الأفغانية وزارة الخارجية، مع بروز الدلالات الحضارية في الخطابات غير الرسمية خاصة لحركة طالبان وكذلك التحركات الشعبية وذلك فيما يتعلق بالمسؤولية التضامنية بين أجزاء الأمة الإسلامية واعتبار شهداء غزة شهداء أفغانستان وجمعهما في بوتقة واحدة، صاحب ذلك تكثيف الهجمات ضد قوات الولايات المتحدة في أفغانستان تضامنًا مع أهل غزة.

أما حكومات دول آسيا الوسطى فقد وقعت خلال مجرزة غزة بين شقي الرحمي؛ فهي من جانب ترتبط بعلاقات قوية مع كل من إسرائيل والولايات المتحدة؛ ومن جانب آخر تتعرض لضغوط شعبية قوية مطالبة بالوقوف إلى جانب غزة ضد إسرائيل، لذا لجأت تلك الحكومات إلى إصدار بيانات رسمية بوقف العنف وحل الأزمة سلميًّا دون إدانة للعدوان الإسرائيلي، وقد تأخر صدور هذه البيانات لأكثر من عشرة أيام بعد بدء العدوان. وعلى المستوى غير الرسمي انطلقت التظاهرات والأعمال الاحتجاجية في بعض عواصم ومدن دول آسيا الوسطى تعبيرًا عن الغضب الشعبي والتضامن الإسلامي مع مأساة أهل غزة.

أما الأقليات المسلمة في أوروبا والولايات المتحدة وأستراليا فقد رصدت مواقفها أ. داليا يوسف. ومن أبرز التطورات التي لاحظها التقرير ما سماه «التحولات الجنينية»؛ أي تحول

وعن مواقف دول الشام جاء التقرير الذي أعدته أ. إسراء عمران ليتناول مواقف كل من سوريا والأردن ولبنان. فعرضت للتفاعل الرسمي وغير الرسمي مع العدوان في كل من هذه الدول الثلاث. وخلصت إلى أن ثمة تشابهًا على المستوى الرسمي وغير الرسمي لسوريا والأردن ولبنان في التفاعل مع العدوان الغاشم على غزة، كما يوجد فارق بين تفاعل المستوى الرسمي مع أحداث غزة ومستوى توقعات ورغبات الشعوب من هذا التفاعل الرسمي.

ولم يختلف الأمر كثيراً في مواقف دول المغرب العربي التي رصدها أ. أحمد محروس. تناول التقرير مواقف كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا؛ حيث الإدانات الرسمية والدعم الشعبي عبر المساعدات والمظاهرات بدرجات متفاوتة توضحها المقارنة بين هذه المواقف.

وتنتقل عدسة الرصد إلى دائرة أوسع هيدائرة الإسلامية. فتستعرض خريطة مواقف أطراف عديدة؛ منها ما هو ذو تأثير كموقف تركيا والموقف الإيراني، ومواقف دول إسلامية تعاني الاحتلال العسكري كأفغانستان، وأخرى تسودها اضطرابات كباكستان، وكذا مواقف من أفريقيا غير العربية. كما تضم دائرة الإسلامية الأقليات المسلمة بهذه الأقليات جزء من كيان الأمة.

تناولت أنساء البنا الموقف التركي، فاستعرضت الموقف الرسمي من خلال رصد أبرز التحركات التي قامت بها الجهات الرسمية التركية وعلى رأسها رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان وبخاصة موقفه في دافوس، والذي يعتبر علامة فاصلة في تطور الموقف التركي من العدوان. وقد تركت الجهود التركية الدبلوماسية على: وقف إطلاق النار كهدف أولي، وفتح المعابر، واعتبار حماس سلطة شرعية في القطاع بحكم فوزها الديمقراطي بالانتخابات. وعليه كانت المبادرة التركية التي سرعان ما تم إحلالها بالمبادرة المصرية ونقلها إلى مجلس الأمن لإصدار قرار وقف إطلاق النار ١٨٦٠. كما تناول التقرير الموقف الشعبي من تظاهرات وجمع للمساعدات، والموقف الحزبي من العدوان ومن تصرف الحكومة التركية إزاءه. ويشير التقرير إلى واحدة من الملامح المهمة التي تشكل مجمل الموقف التركي، وهو تحالف الموقف الرسمي مع الموقف الشعبي/موقف المجتمع المدني، وموقف بعض من الأحزاب، فيما يخص جمع التبرعات والمساعدات الخاصة بغزة، والإغاثة الالزامية لمواطنيها. ثم ركز التقرير على أهم محددات الموقف التركي من العدوان، وهي تحديدًا المحددات الداخلية والإقليمية والعالمية. ويشير التقرير في خاتمه سؤالات حول تداعيات الموقف التركي على عدد من الملفات الداخلية والخارجية، منها: العلاقات التركية الإسرائيلية، توازنات الجيش والحكومات الدينية في الداخل

وتناول أ.أحمد زكريا موقف الجانب الآخر من الأطلنطي؛ حيث استعرض موقف الاتحاد الأوروبي. فأشار التقرير إلى أن بيانات الاتحاد الأوروبي ساوت بين الوضع في إسرائيل والوضع في قطاع غزة من حيث المأساوية، ورصد التقرير مواقف ثلاثة دول من أركان الاتحاد الأوروبي: فرنسا، ألمانيا، بريطانيا على المستوى الرسمي والشعبي.

وفى تطوفة رصدية على نطاقات جغرافية سياسية واسعة يأتى التقرير الذى قام به عدد من الباحثين (أ.محمد محمود عبد العال، أ.محمد بغدادي، أ.إيناس الشريدى) وحرره أ.مدحت ماهر عن مواقف قوى الشرق الكجرى ودول الأطراف الصاعدة، فيعرض مواقف الدول الأربع التي تمثل قوى الشرق الكجرى ذات الرصيد السياسي والاقتصادي والاستراتيجي الكبير (روسيا والصين والهند واليابان)، وقوى أطراف العالم الجغرافية التي تمثلها أيضًا دول أربع رئيسة ومميزة (هي أستراليا وكندا وفنزويلا والبرازيل)، كما يقارن بين هذه المواقف. ويلاحظ التقرير أن علاقات هذه القوى كافة -على المستوى الرسمي- بطرفى الصراع الرئيسين (إسرائيل والعرب) كانت عاملاً حاسماً في تكيف مواقفهم من العدوان الصهيوني على غزة. فأكثرها ضالعة في علاقات متعددة المجالات مع الكيان الصهيوني، وعلى رأسها العلاقات الاستراتيجية العسكرية والأمنية والتسلحية والمخابراتية. كما أن رأس المال والإعلام اليهودي يلعب دوراً مهماً في تشكيل هذه العلاقات، بل في التأثير على شرائح الرأى العام في أغلب هذه الدول . إلا أن الأمر يختلف بالنسبة لفنزويلا، مشيراً إلى أن الموقف الفنزويلي من الحرب على غزة كان في غاية الإيجابية والقيمية الإنسانية الفاعلة.

ثم ينتقل مؤشر الرصد في الجزء الثالث إلى «عالم المؤسسات»، فيرصد تقرير أ. محمد كمال مواقف جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والأمم المتحدة وأجهزتها المختلفة، وحلف شمال الأطلنطي. ويلاحظ التقرير أن العدوان على غزة جاء كأشفًا بقوة عن إخفاق جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي في القيام بدوريهما، وأن ما صدر عن بعض أجهزة ومسئولي الأمم المتحدة في الجمعية العامة ومجلس حقوق الإنسان بشأن العدوان على غزة أمر جيد، لكن قرار مجلس الأمن -أهم أجهزة تلك المنظمة- بشأن وقف إطلاق النار في قطاع غزة لم يكن له قيمة: لأنه لم يتضمن آليات تفيذه. وفي نهاية تقريره عن مواقف المؤسسات الدينية الإسلامية يلاحظ أ.أحمد خلف أن هذه المواقف تراوحت بين تبعية الديني للسياسي كما في حال المؤسسة الدينية الرسمية في مصر، وتعضيد وتائيد الديني للسياسي، وهو ما يعبر عنه حال المؤسسات الدينية فيما يسمى بمحور المانعة، وتوافق وتلاقي

فاعليات الغضب والتضامن من مسيرات واحتجاجات تقليدية إلى أنماط أوسع انتشاراً ومحاولات لمؤسسة الاحتجاج والتحرك به في اتجاهات قانونية أو في تنظيم جهود لعزل إسرائيل أكاديمياً أو فنياً أو في غير ذلك من مجالات. أما عن تطوير هذه «التحولات الجنينية» إلى بدايات تغيير فيشير التقرير إلى أن ذلك أمر متعلق بقدرة أفراد وجماعات الأقليات المسلمة في الغرب على تطوير قدراتهم وأدائهم، وكذلك على دعم دوائر أوسع من أنصار القضية حول العالم من مسلمين وغير مسلمين و من بين أهم الأسئلة التي أعاد العدوان على غزة طرحها ما يتعلق بسياسات الاندماج التي تتبعها الحكومات العربية المختلفة، ومحاولة تجاوز النظر «لإسلام» باعتباره ديناً لجامعة من المهاجرين لا للمواطنين يملكون حقوقاً ثقافية ودينية تسمح لهم بالحفاظ على هوياتهم المتعددة.

ولاستكمال الدائرة الإسلامية تناول تقرير أ.مروة يوسف مواقف من أفريقيا غير العربية. ويلاحظ التقرير رمزية رد الفعل الإفريقي ومحدوديته سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي أو النخبوى. فهناك ٤٦ دولة إفريقية غير عربية، ولم تدل معظمها برأيها على أي من مستويات العدوان الذي استمر لمدة تقارب من شهر، بسب الظروف والمشكلات التي تعانيها القارة، بالإضافة إلى سوء العلاقات العربية الإفريقية. فالاهتمام الإفريقي بقضية فلسطين، وهو ما ينطبق على غزة، يأتي دائماً كتابع لتحسين العلاقات العربية الإفريقية .

وركز محور «الغرب والقوى الكبرى» على الموقفين الأمريكي والأوروبي من جهة، ومواقف روسيا والصين واليابان والهند وأستراليا وكندا وموافق بعض دول أمريكا اللاتينية كفنزويلا والبرازيل من جهة أخرى. فأشار التقرير الذي أعدته أ.ضحى سمير عن الموقف الأمريكي إلى الدعم المعتاد الذي توفره الولايات المتحدة لإسرائيل على المستويات كافة: لم تختلف في ذلك إدارة بوش الابن وأوباما. فقد ارتكز الخطاب الرسمي الأمريكي تجاه الحرب على تحمل حماس مسؤولية اندلاع الحرب، بسبب رفض تمديد الهدنة واستمرار إطلاق الصواريخ على المدن الإسرائيلية، واعتبار ما قامت به إسرائيل يأتي في إطار الدفاع الشرعي عن النفس. وجاءت مذكرة التفاهم التي وقعتها وزيرتا خارجية البلدين لتأكيد الالتزام الأمريكي بحماية أمن إسرائيل، مركزة على العمل على منع وصول السلاح لحماس عبر التعاون الأمني والعسكري والمخابراتي بين الولايات المتحدة والأطرافإقليمية المعنية، وعدد من أعضاء حلف شمال الأطلنطي والقوات البحرية الدولية من جهة وبين إسرائيل من جهة أخرى. كما أوضحت استطلاعات الرأي الدعم الشعبي داخل الولايات المتحدة لإسرائيل.

إعمار غزة بين الاقتصاد والسياسة.

ثم يأتي الجزء الرابع من متابعة الحولية لتطورات ما بعد العدوان على غزة ليناقش إعادة الإعمار، والحوار الفلسطيني الفلسطيني،مبادرة السلام العربية،يهودية الدولة توجه توكده إسرائيل في هذه الفترة، وتأثير مجئ أوباما ونتنياهو على القضية الفلسطينية.

يبدأ د بشير أبو القريا بعرض متطلبات الإعمار والتمييز بين الإعمار الحقيقي والإعمار العدو. كما يتناول الخلاف حول آلية ضخ أموال الإعمار، وجهود الإعمار الرسمية سواء التحرك المصري الذي شمل عقد المؤتمر الدولي للإعمار، وموقف حماس منه، وكذلك التحرك الخليجي، بالإضافة إلى الجهود الأهلية على مختلف المستويات. ويشير إلى أن منجزات إعادة الإعمار كانت جزئية. ثم يناقش مشكلة تحديد الجهة المتلقية لأموال الإعمار والتوظيف السياسي لها والتحديات التي تواجهها، والشروط السياسية الازمة لتحقيقها. ثم يقدم تقليماً للمواقف المختلفة من قضية إعادة الإعمار ويختتم بالقول بأن الانقسام الفلسطيني والتجاذبات الداخلية قد تجعل من قضية الإعمار والمساعدات نفسها مدخلاً للتدخلات الخارجية ولتакل إضافي للقضية الوطنية وتفتتت مدمر المشروع الوطني الفلسطيني ويستنتاج أن حل الخلافات الداخلية الفلسطينية يؤدي إلى حل الخلافات حول إعادة إعمار غزة، والعكس صحيح. غير أنه يلاحظ أن هناك توظيفاً لهذه العملية في الصراع السياسي القائم، ولغايات تتجاوز إعادة الإعمار ومصالح الناس. ويرى أن على الأطراف المتصارعة في الساحة الفلسطينية إخراج عملية إعادة إعمار غزة من الصراع.

ويتناول أ.أمجاد جبريل الحوار الفلسطيني الفلسطيني تحت وطأة الشروط الخارجية، فيستعرض البعد الفلسطيني للحوار مدماً مع الدور المصري الذي يعد أكثر الأدوار العربية تداخلاً مع الشأن الفلسطيني، أما فيما يتعلق بالبعد العربي في الحوار الفلسطيني فيتناول عدداً من الأدوار المحددة، وهي: دور جامعة الدول العربية، الدور السعودي، الدور السوري. ثم تطرق إلى مواقف القوى الإسلامية أو الإقليمية في الحوار الفلسطيني، وتحديداً الدوران التركي والإيراني. وأخيراً تعالج الدراسة الدوران الأمريكي والإسرائيلي في عرقلة الحوار الفلسطيني. ويخلص إلى القول بأن الحوار الفلسطيني ليس شأنًا وطنياً أو داخلياً مقصوراً على حركة فتح وحماس، ولا يمكن قياس مدى نجاحه أو فشله بموافقتها فقط؛ فالحوار الفلسطيني يتداخل مع مصالح عربية وإسلامية وإقليمية ودولية، ويتأثر بها كما يؤثر عليها. وليس مستغرباً والحال هذه أن تتحرك هذه الدوائر لإنجاح الحوار الفلسطيني أو تسريحه أو إبطائه أو إفشاله؛ كل ذلك بحسب مصالحه وبالقدر الذي يمتلكه من أدوات التأثير والنفوذ.

رغبي الدين والسياسي في القيام بدور ما، وقد تجلى هذا الأمر في تلاقي رغبة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في القيام بما رأه واجبه في تقديم النصح لقيادة الأمة مع رغبة قطر في القيام بدور ما على الساحة العربية، وغياب الدين عن السياسي نكوصاً عن أداء الدور وإيثاراً للسلامة الشخصية؛ وهو ما يظهر بدرجات مختلفة لدى الصوفية والسلفية.

أما مواقف الطوائف المسيحية فقد تناوله الشيخ هشام الكامل، حيث استعرض مواقف هذه الطوائف في مصر وفلسطين ولبنان وسوريا وكذلك الكنيسة البريطانية والفاتيكان وإدانتهم العدوان.

وترصد أ.نورهان عبد الوهاب دور المؤسسات المدنية من حقوقية وإغاثية ونقابات مهنية واتحادات نوعية على المستوى العالمي والإقليمي والقطري في التعامل مع العدوان وأثاره، وتلاحظ تأثر كل مؤسسة بمرجعيتها وتخلص في النهاية إلى القول بأن الأمل أضحي في أدوار هذه المؤسسات: لأن الدول تحكم سياساتها مصالح عليا وأهداف بغض النظر عن -أو بقليل من- الدوافع الإنسانية.

وببدأ محور الرأي العام والبعد الاقتصادي بتقرير أنهى طارق عن المظاهرات واتجاهات الرأي العام، ورصدت فيه المظاهرات التي جرت احتجاجاً على العدوان على غزة بمختلف أشكالها، ابتداءً من الدائرة المصرية، وتساعاً إلى الدائرة العربية، فالدائرة الإسلامية، فالدائرة العالمية، وما ظهر من آراء وفتاوي حول جدواها ومشروعيتها. بالإضافة إلى اتجاهات الرأي العام التي تم الاستفتاء حولها من قبل بعض المؤسسات وموقع الإنترنت، أثناء العدوان. ويقدم التقرير في ختامه بعض المقترنات لتفعيل مناصرة القضية الفلسطينية من خلال المظاهرات والفعاليات.

وفي تقرير عن الخطاب الإعلامي حول العدوان تناول أ.عبد إبراهيم خطاب تيارات مختلفة عنه، فرصد مقالات الرأي والأعمدة في صحيفة البديل المصرية بدءاً من العدوان على غزة وحتى نهاية شهر فبراير ٢٠١٩. فعرض لموقف هذه الخطابات من مصر وحماس بالهجوم أو الدفاع، ووجهة نظرها فيمن انتصر بعد العدوان: إسرائيل أم حماس؟ وسياسة المحاور. ويلاحظ التقرير أن الخطاب حول الحرب تحول إلى خطاب حرب.

أما الدلالات والأبعاد الاقتصادية للعدوان فقد تناولها تقرير أ.عبد الله عرفان، فاستعرض خسائر الاقتصاد الفلسطيني جراء العدوان في قطاعات: الزراعة، والصناعة، والصحة، والبنية التحتية، وتعامل الحكومة في غزة مع الوضع الاقتصادي الناتج عن العدوان، كما تناول موقف عدد من الأطراف من إعادة

وثوابت الأمن الوطني لأي دولة إنما تمليها في المقام الأول الاعتبارات الجيوسياسية والموضوعية قبل أن تمليها الاعتبارات الذاتية أو الظرفية.

مستعرضاً مفاصل رئيسة من الذاكرة التاريخية للصراع العربي- الإسرائيلي وتطوره؛ لينتهي إلى أن التحول المصري منذ عهد السادات، وتحديداً بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ باتجاه الولايات المتحدة وعدم اعتبار إسرائيل مصدر تهديد بل شريك سلام.. كل هذا أدى إلى خروج مصر منفردة من الصراع بما أضر بأمنها الوطني والقومي. لقد مهدّ هذا التطور للنظرية الحكومية المصرية من منظور جديد يمتد إلى مشكلات فلسطين الداخلية لا يعتمد على أهميتها الأمنية وصلتها القومية.

ولقد أثارت هاتان الرؤيتان عديداً من المناوشات والمداخلات والتي دارت في أغلبها حول سؤال: هل سياسة الحكومة المصرية الراهنة تجاه القضية الفلسطينية تحقق الأمان القومي المصري أم لا؟ مع دعوات لعدم اختزال القضية في بعد إنساني عاطفي وإغاثة ومعابر، وضرورة النظر إليها باعتبارها لحظة كاشفة وفارقة تتطلب تغييرات جذرية في السياسات العربية تجاه القضية وليس السياسة المصرية وحدها.

ثانياً- معاهم الجديد في مشهد أمتي والعالم وأمتى في العالم.
تحت عنوان «العدوان على غزة : خريطة الحدث والدلائل الحضارية» تابعنا الحدث وما تبعه من مآلات وتداعيات عبر العام ٢٠٠٩ وحتى مطلع العام ٢٠١٠، وبعد توقيف العدوان الشامل (بكل آليات الجيش الإسرائيلي برياً وبحرياً وجواً)، لا كل العدوان، فهو ما زال مستمراً بأكثر من صورة، وليس على غزة فقط ولكن على كل فلسطيني وفلسطيني. ونحن حين نتوقف عند غزة والعدوان عليها فإننا نفعل ذلك انتلاعاً من موضعها في الخريطة الكلية للصراع مع الصهيونية ثم إسرائيل عبر ما يزيد على القرن . وهذه أول إشارة إلى معنى «الدلائل الحضارية»، فنحن لا نجزئ غزة، ولا نخزل الصراع في حماس، ولا نتوقف عند اللحظة الراهنة فقط، ولا ننطر فقط إلى ضحايا العدوان الباقين في العراء حتى الآن فتقلب القضية السياسية إلى مجرد قضية إنسانية.

هكذا يجب ابتداءً فهم معنى «الحضاري» والدلالة الحضارية والقراءة من منظور حضاري. وفي هذا الفهم تكمن واحدة من أسباب أهمية اللقاءات والندوات التي عقدناها - بالتعاون مع مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية- في ظلال سياق إقليمي وعالمي يشهد انعكاسات أحداث غزة ودلائلها وامتداداتها، بما دفع إلى طرح العديد من التساؤلات التي أطلقت عنان الرصد والمتابعة في هذا العدد من أمتي في العالم:

أما مستقبل مبادرة السلام العربية بعد الحرب على غزة فيتناوله أ. هشام سليمان. فاستعرض المبادرة والظروف التاريخيةحيطة بها، مشيراً إلى أن الموقف الإسرائيلي لم يتغير من المبادرة من حيث رفضها. حتى إن تم الإعلان عن قبول بعض من بنودها، من قبيل تأسيس الدولتين، فإن هذه الحلول تُطرح بصورة تفرغ المبادرة من مضمونها. كما أن مركز المبادرة العربية لم يتقدم -إن لم يكن قد تأخر بالفعل. فالدعوات العربية المتواترة لسحبها أو تعديلها تعني أنها بصورتها الحالية ليست محققة لأهدافها.

ويناقش أ. إبراهيم غالى مسار توجه "يهودية" إسرائيل وأهدافه وتداعياته، مؤكداً أن مفهوم «الدولة اليهودية» لم يغب عن ذهن مخططي الحركة الصهيونية منذ القرن التاسع عشر. متبعاً جذور فكرة «يهودية» إسرائيل، والتحولات التي صاحبت هذه الفكرة لا سيما مع مطلع الألفية الجديدة، مع التركيز على ما تقوم به حكومة نتنياهو الحالية من تطبيق فعلـي لـ «يهودية» الدولة. ويلخص إلى أن يهودية إسرائيل باتت مطلباً علينا من لدن قادة الدولة العبرية على اختلاف مشاربهم في أي تسوية مقبلة مع الفلسطينيين.

ويتناول أ. محمد عبد الله أثر مجـء أوباما ونتنياهو على القضية الفلسطينية. طارحاً عدة تساؤلات حول مدى إمكانية ممارسة إدارة أوباما - ذات الخطاب المعتدل والصالحي تجاه العالم الإسلامي وفق رؤية عدد كبير من المحللين- ضغوطاً جادة على حكومة نتنياهو اليمينية المتشددـة واحتمالات تحقيق تقدم في عملية التسوية. ويلاحظ أنه بينما اتسم خطاب حكومة نتنياهو بالاتساق الضمني والتوافق مع ممارساتها الواقعية المعطلة لعملية التسوية، فإن خطاب إدارة أوباما اتسم بالتناقض الواضح سواء في بنيته الهيكـلية أو مع الممارسات المنحازة لإـسرائيل.

يناقش الجزء الخامس والختامي «ماذا بعد عام من العدوان الإسرائيلي على غزة؟». فيتناول د. مصطفى علوى الأبعاد المتعلقة بالدور المصري واستمرار حصار غزة بين الموقف الإسرائيلي والحوار الفلسطيني- الفلسطيني، مركزاً على معاهم الوضع الراهن ومصاعباته. ويلخص إلى أنه بعد عام من العدوان الإسرائيلي على غزة ليس هناك جيد كثير يذكر في الخرائط المختلفة المرتبطة بذلك، فالسياسة الإسرائيلية لم تتغير، والداخل الفلسطيني باقٍ على صراغه وعلى خلافه: مؤكداً أن السياسة المصرية كانت ضد العدوان الإسرائيلي، وقد سعت إلى إنهاء هذا العدوان، كما كان لها دور كبير في رعاية وتنظيم وقيادة التفاوض فيما بين الفصائل الفلسطينية المختلفة.

هذا، بينما يتناول د. حسن نافعة قضية غزة والأمن القومي المصري والعربي، وينطلق من أن ثوابت السياسة الخارجية

يبدو لهم أنه «سلام»؟ إن الإجابة تكمن في أمرين تتسم بهما هذه الحولية:

الأمر الأول: أن عقد برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات ومركز الحضارة لهذه الندوات واللقاءات يستشكل مع الاعتقاد السائد بأن المجال الحضاري مقصور على دراسة الحوار بين الغرب والعالم الإسلامي، وبمعنه الضيق المحدود عن حوار الثقافات والأديان، وأنه لا يتطرق إلى مثل هذه الأحداث السياسية العسكرية. والأمر ليس على هذا النحو على الإطلاق. لماذا؟

لأن برنامج الدراسات الحضارية وهو يهتم بهذه الأحداث السياسية إنما يريد كسر هذه الفجوة في الذهن بين «الحضاري» و«السياسي»؛ وذلك من خلال إجراءات عملية؛ استكمالاً أو تدعيمًا للحدث النظري عن مفهوم «الحضاري»، والمنظور الحضاري والدراسات الحضارية. وهو الحديث المتعدد في إطار تجدد الاهتمام بالأبعاد الثقافية والحضارية في ظل مراجعة حالة النظرية الاجتماعية والسياسية بصفة عامة، وفي ظل دعوات التعددية الحضارية والثقافية كمدخل لعالمية العلم وإنسانية السياسة.

يتم هذا التجسير من خلال التدريب على القراءة في الدلالات الحضارية للأحداث السياسية. وهو بمثابة مدخل جديد للقراءة السياسية في ظل إعادة تعريف «السياسي»، وفي ظل ردّ الاعتبار للأبعاد القيمية في الدراسات السياسية دون وقوع في إفراط أو غلواء المثالية المجردة، ودون الدفع في إفراط أو غلواء الواقعية المفرطة.

وليس هذا النهج بجديد على المنظور الحضاري وأمتى في العالم. فقد حازت الاهتمام من عملنا قضايا عديدة، مثل: الأبعاد التاريخية والحضارية في الصراعات الإقليمية المعاصرة (البلقان - القوقاز)، وكذلك الأبعاد الثقافية للتغيير السياسي في مصر -نموذجًا- والتي ثارت خلال التعديل الدستوري المصري الأخير، وكذلك مشروع «الخصوصية والثقافية والتفعيل في التغيير السياسي والمجتمعي»، ناهيك بالطبع عن الموضوعات ذات الطبيعة المباشرة الثقافية وما لها من دلالات سياسية أكثر مباشرة، مثل حوار الأديان والثقافات.

إذن هي العملية ذات الوجهين التي درجنا على الاقتراب منها في تفعيل وتشغيل دراسة العلاقة بين الأبعاد الثقافية والسياسية من منظور حضاري مقارن، وذلك بعد أن قطعنا شوطاً في التأصيل النظري للمقصود بالدراسات الحضارية والمنظور الحضاري. إلا أنه من ناحية أخرى فإن أحدهات الصراع العربي- الإسرائيلي باعتباره مازال صراعاً محورياً في عالمنا العربي والإسلامي- قد حازت نصيباً أكبر ومتواصلاً من اهتمامنا في التفعيل والتشغيل، وفي التدريب

1- ماذا حاقد بتتابعه مجرى الحرب الإسرائيلي؟

2- ماذا حاقد بالحوار الفلسطيني- الفلسطيني؟

3- ماذا حاقد بإعادة إعمار غزة؟

4- هل تم تفعيل اتفاقية (راس-ليفني) أو مذكرة التفاهم الأمريكية- الإسرائيلية لتعزيز حصار الدولتين والغرب لغزة برأً وبحراً وجواً؟

وفي مقابل الأسئلة السابقة، ألم نلحظ:

- تسارع تهويد القدس من قبل اليمين الإسرائيلي ورفض حل الدولتين وتطورات الداخل الإسرائيلي؟

- تزايد ابتعاد الدور المصري عن القضية والقيادة العربية (كما في مقاطعة قمة الدوحة وقضية تنظيم حزب الله)، واستمرار البحث في مصير المبادرة العربية (قمة الكويت، قمة الدوحة، لقاء عمان...)؟

- دلالات زيارات أوباما لأوروبا (الناتو) وتركيا (تحالف الحضارات) القاهرة ، وخطابه إلى العالم الإسلامي الذي ساوي فيه بين المأساة الفلسطينية والإسرائيلية، وعاد يطالعنا فيه باستمرار التحالف الذي أسسنته إدارة سلفه ضد التطرف العنيف (الاسم الجديد للإرهاب) الذي يقع غالباً داخل عالمنا الإسلامي؟

- استمرار الرمح الضاغط ضد إيران ومحاصرة مافها النموي، وكأن إسرائيل استثناء كوني بيدهي يجب ألا يفكر أحد في منافسته أو حتى محاكاته؟

- استمرار التوترات والتدھورات في الساحة العراقية؟

- قوات جديدة في أفغانستان، وتزايد التدهور في باكستان؟

- تداعيات الأزمة المالية العالمية؟

عبر نقاشاتنا جرى استدعاءً لكل ما يتصل بتاريخ الصراع مع الصهيونية وإسرائيل على مائدة مؤتمر الأمم المتحدة ضد العنصرية كمراجعة واستكمال لمؤتمر ديربان ٢٠٠١ الذي أدان إسرائيل بالعنصرية. ولكن هل نسي العالم أم هي محاولة لإهلاك التراب على جهود إدانة إسرائيل بارتكاب جرائم حرب (كما يجري مع تقرير جولدستون)؟ أم هي محاولات أخرى لإدانة المقاومة بالإرهاب وتشويه صورة ما تبقى من أشكال المقاومة لحساب ما هو سائد وذائع من صور الاستسلام لهم ما يسمى بالسلام.

لماذا هذا العدد من الحولية عن غزة في سياق ذلك كله؟ وما الجديد الذي نسعى للمراتكة فيه مقارنة بكل ما يجري حولنا أو جرى بالفعل من تحليلات، حين كانت المدافع تدق بيوت أهل غزة ونحن في بيونتنا: نشجب وندين وندعو الله ونجمع تبرعات إنسانية، وحكوماتنا تلهث لوقف إطلاق النار والحفاظ على ما

على نحو يدفع للتساؤل عن مآل ما كشفت عنه أحداث العدوان على غزة.

ولقد قامت بحوث الشباب على عملية رصد منظمة للسلوك والخطابات مهّدت لها وتأخّلتها جلسات عمل نصف شهرية للتعرّيف بالضوابط والقواعد العلمية لمنهج الرصد والقراءة الكلية، والتفكير في الدلالات ومحاور التحليل، وكيفية تقديم النتائج في تقرير. ومن ثم فإن بحوث الندوة المحررة في هذه الحولية هي المنتج النهائي لعملية بدأت منذ الأسبوع الثاني من وقوع العدوان، وكانت حماسة الشباب وانفعالهم طاقة تحولت إلى جهد علمي منظم، لعلنا به قد تكون أدينا بعض ما هو بوسعنا المشاركة به في «معركة المقاومة الحضارية».

ومن ناحية أخرى، فلقد انصب الاهتمام في جلسات الإعداد للبحوث على أمر آخر هو «مفهوم الحضاري» والرؤية الحضارية والدلالات الحضارية. وكان المنطلق هو بيان كيف أن النصّط المقترن للقراءة في أحداث العدوان يساعد على بيان العلاقة بين السياسي والحضاري، بل يلقى الضوء على المقصود بالحضاري وضرورة فك الالتباس بينه وبين الدين من ناحية، وبين الصراعي من ناحية أخرى.

وهنا نود التوقف لاستدعاء بعض الملاحظات الفكرية حول هذا الأمر، دشّنا بها أيضًا ندوة عن العدوان على لبنان ٢٠٠٦، وتتألّف هذه الملاحظات في الآتي:

١- ضرورة عدم الخلط بين الحضاري والديني (العقيدي). حقيقةً يمثل الدين (الإسلام) المكون الأساسي في الحضارة الإسلامية، بكل ما يثيره هذا من إشكاليات للتفاوض مع المدارس التي لا تعتبر الدين المكون الأساسي في التشكيل الحضاري، إلا أن الحضاري يظل أشمل وأوسع نطاقاً من الدين. ومن ثم فإن «الحضاري» بالمعنى الإسلامي يمتد ليشمل إنجازات المتنمية لأديان ومذاهب أخرى، ولكن في نطاق حضاري واحد. ولذا فالآمرة الإسلامية -على سبيل المثال- هي مفهوم عقدى ومفهوم حضاري في الوقت نفسه.

ومن هنا: التمييز بين الأبعاد الحضارية (التي تتضمّن في سياقها الثقافي والديني) باعتبارها -أولاً- متغيراً مستقلّاً أو دافعاً ومحركاً في حد ذاتها ومسِّرراً للعلاقات والتفاعلات الدوليّة (تعاونياً أو صراعياً)، وبين الأبعاد الحضارية باعتبارها -ثانياً- إطاراً وبيئة تشكّل الواقع والسلوك، وباعتبارها أدلة توظّف في خدمة البعد «السياسي الاستراتيجي»، وباعتبارها أيضاً عوامل مؤثرة لا تنفصل عن العوامل السياسية.

وفي الحال الأولى تبرز مقولات «الصراع الحضاري» بوصفها قانوناً وتاريخاً، الأمر الذي يستثير كل التحذيرات من أن يقود مصطلح «الحضاري» إلى الوقوع في فريسة القول إن سبب الصراعات والحروب هو اختلاف الأديان والثقافات

على كيفية القراءة في الأحداث السياسية من رؤية حضارية. وبنذكر في هذا الصدد: القدس، والعدوان على لبنان، ثم ها نحن نصل إلى غزة.

الأمر الثاني يتعلق بندوة شباب الباحثين. فلعل هذه الفئة من الباحثين تنسق وطبيعة الهدف المشار إليه: باعتباره سبيلاً للتدريب على تجسير الفجوة في المفاهيم لدى جيل من الشباب، وكسبيل لحفزهم نحو متابعة الجديد في العلم: نقداً للتقليدي من مفاهيم السياسة السائدّة في منظورات علم السياسة، وبحثاً عن مفاهيم ورؤى أكثر تعبيراً عن الذات الحضارية، في وقت يتعدد عبر الدوائر الأكاديمية في العالم الجدال بين المنظورات التقليدية ومنظورات حضارية أخرى -إلى جانب المنظورات الغربية- في الدراسات الدولية، لتحقق عالمية علم العلاقات الدولية.

ومما يذكر في هذا الصدد أن الندوة الأولى عن العدوان (في ٢٠٠٩/٢) قد نُظمت بالتعاون أيضاً مع الشباب -سواء على صعيد نماذج المحاكاة بكلية الاقتصاد، والمنتدى الثقافي للشباب. وقد كان المدخل لتلك الندوة الأولى مدخلاً نوعياً: حيث تحدث مجموعة من الأساتذة من مداخل سياسية (د. مصطفى علوى) وقانونية (د. محمد شوقي) وعسكرية (عميد صفت الزيات) وأخيراً حضارية (د. سيف الدين عبد الفتاح). حقيقة قد يbedo من هذه الندوة أن هذه المداخل منفصلة، ولكنها في الواقع ذات صلة كبيرة ببعضها البعض، وكل ما كان يقتضيه الأمر هو التمييز بينها. فعلى سبيل المثال بالنسبة للمداخل العسكرية: ألم يكن لنقط الحرب الإسرائيلي مدلولها الحضاري بمعنى انعكاس رؤية ومرجعية دينية وثقافية على هدف الحرب وأساليب إفراز المدينين، والتركيز على النساء والأطفال، وضرر المدارس والمستشفيات، واستعمال الأسلحة المحرمة... إلخ من كل ما يتصل بجرائم الحرب التي يعاقب عليها القانون الدولي وتتأبه الأخلاق والأديان؟ إذن المداخل متصلة متحاضنة أكثر منها منفصلة متنافية.

والآن: فإن مداخل الجزء الثاني من الحولية، هي مداخل الفواعل التي شاركت في أحداث غزة على أكثر من صورة: داعمة للعدوان الإسرائيلي .. مشاركة فيه... معتروضة عليه... مقاومة له. حاولنا أن نقرأها بصورة كلية لبيان دلالتها الحضارية، وفي إطار مدى زمني لا يتجاوز شهرين: شهر الحرب العدوانية، وشهر ما بعد الحرب. وقد شهد هذا المدى الزمني إرهادات العملية التي ما زالت مستمرة حتى الآن (الحوار الفلسطيني- الفلسطيني، مجىء الحكومة الجديدة في إسرائيل، وإدارة جديدة في البيت الأبيض، جهود للمصالحة العربية لإدخال المباردة العربية للسلام إلى غرفة الإنعاش,...)

لتحديد السياسات وتنفيذها وتقديرها و«القيم» تقع في صميم الدلالات الحضارية لكل فعل.

أما المأزق الثاني فهو مأزق اليأس والإحباط الغالبين على الأمة لغياب النماذج التي تبعث على الأمل على صعيدها؛ أي النماذج التي تحقق نجاحات داخلية وخارجية، وخاصة ما يتصل باستخدام القوة العسكرية لحماية الأمن الوطني ومصالح الأمة، حيث يبدو من تاريخ تجارب إعداد القوة العسكرية واستخداماتها من جانب النظم العربية والإسلامية، أن ثقافة القوة العسكرية لم تؤدي إلا إلى الهزيمة والاستبداد، أو تبدو خاصة في حالات المقاومة- كما لو كانت (في نظر البعض) ثقافة موته بلا طائل أو إرهاب يهدد أمن وسلام العالم، أو تبدو كما لو أن استعدادات القوة العسكرية تتم على حساب أهداف «التنمية» بدلاً من أن تتعلق من نتائجها وترتکز على دعائمها.

وهذه الأمور أفرزت ما يسمى «ثقافة السلام» و«ثقافة القوة المرنة» التي تتجه بالرفض لكل ما يسمى «عنفاً» أو قوةً صلدة دون تمييز. كما لو أن أمتنا أضحي مكتوبياً عليها دون غيرها أن تنزع أسنانها وأن تتخلى عن كل استخدامات القوة العسكرية لحماية منها ومصالحها وكرامتها الوطنية، كل ذلك باسم حسابات المصالح الاقتصادية ومتطلبات التنمية التي تتطلب «سلاماً» باسم هذه الأمور جمعيها تم بيع القضايا الوطنية على نحو أثار تهديداً للأمن الوطني والقومي باسم الذرائع البراجماتية مدعية الخوف على المصالح الوطنية التي هي بالأساس مصالح اقتصادية لنخب حاكمة ونخب متحالفه، ومن ثم هي في الأصل مصالح مصابة بكل أمراض الفساد الداخلي والتدخل الخارجي، ولذا فهي ليست مصالح تصب في عافية الوطن بأكمله، ولا تمثل إلا قشور التنمية الظاهرية.

ولقد وجدت في حالة المقاومة الإسلامية في لبنان ثم غزة نموذجاً يكسر تابوهات المأزقين السابقين بما يقدم من دلالات حضارية عن إشكالية العلاقة بين العدوان والمقاومة.

إذن ماذا قدمت خريطة العدوان على غزة؟ وكيف نقرأ هذه الخريطة من رؤية حضارية؟ وما المقصود ابتداءً بهذه الرؤية على ضوء ما سبق تقديمها من ملاحظات؟

تلامحت تقارير الباحثين مع المناوشات والحوارات التي دارت حولها في رسم معاالم خريطة الحدث وقراءته من مداخل متعددة على النحو التالي:

١- لم يكن العدوان على غزة -ويبدو أنه لن يكون- سوى حلقة من حلقات التعدى والاعتداء على فلسطين: الصفة وغزة وعرب ٤٨، والأسرى واللاجئين، تلك التهجمات التي نالت من هذا الشعب ولم يسلم منها أهل جواره عبر نحو قرن من الزمن، منذ أن وطئت أقدام الصهيونية هذه البقاع، وتحركت خطواتها في تشديد دولتهم «اليهودية» -كما أعلنت قياداتهم قدماً

والحضارات؛ ومن ثم الاعتقاد أن كل حديث عن «الحضاري» هو حديث عن «صراع حضاري» بالضرورة. أما الحالة الثانية فهي تستثير التحذير من خطورة الفصل بين كل ما هو مادي (باعتباره المصلحي) وبين كل ما هو قيمي باعتباره مثالياً غير واقعي لا يرتبط بالصالح والسياسات.

وبينا عليه فإن الحديث عن الدلالات الحضارية للحرب في لبنان ثم غزة (عدواناً ومقاومة) لا يعكس منطق الحالة الأولى، ولكن يعكس منطق الحالة الثانية، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار أنه إذا لم يكن من الصواب أن يستدعي مصطلح «الحضاري» إلى الذهن مباشرةً «صراع الحضارات والأديان»، وإذا كانت ثمة رؤية إسلامية للعلاقة بين الحضارات لا تقوم تأصيلياً على قاعدة الصراع بالطريقة المنهجية، إلا أن هذه الأبعاد التأصيلية المقارنة لا يصح أن تحجب عن أنظارنا وعن خطاباتنا -مهما كانت الأسباب- أن الآخر الذي يدير صراعاً ضدنا الآن بكل الأدوات لتحقيق مصالح استراتيجية علينا (تتصل بالمكانة والهيمنة والابتزاع والاقتصاد وغيرها) لا يتورع عن توظيف «الحضاري- الثقافي- الديني» على نحو صراعي يدفعنا إلى القول: إذا كانوا هم الذين يقودون ضدنا صراعاً حضارياً، فلماذا ننكره على الإطلاق؟

٢- ومن ثم فإن الدلالات الحضارية المقصدودة هنا إنما تستهدف اختبار هذا القدر «الصراعي» ونمطه في خطابات الأطراف المعنية، كما تهدف إلى بيان أمر آخر؛ وهو كيف أن الأبعاد القيمية الإنسانية الأخلاقية -المربطة بنموذج حضاري (إسلامي)- لا تنفصل عن الأبعاد السياسية والاستراتيجية في تشكيل وأداء نموذج المقاومة اللبناني (الإسلامية والوطنية).

ولذا فإن هذا المشروع «المقاومة الحضارية» وإنجازاته حتى الآن، هذا المشروع يساعد في الخروج من مأزقين:

المأزق الأول هو مأزق الانفصال لدى تيار واسع من الطلبة ومن الزملاء الباحثين بين «الديني» و«المجتمعي والسياسي والاستراتيجي» (فكراً ومارسة، واقعاً وتاريخاً، تفاعلاتٍ ومؤسسات)، ومن ثم الحاجة لجهود للتدليل (من منظور حضاري) على أن العلاقة بينهما تازرية تفاعلية وخاصة مع اعتبار أن (الإسلامي) ليس مجرد (الديني) بالمعنى الضيق أي العقدي فقط، ولكن أيضاً ما ينبع عنه ويمتد من قيمٍ وسُننٍ ومن ثم من ثقافة وحضارة بالمعنى الشامل.

ومن ثم: فعند الاقتراب من دراسة الظواهر، من مدخل قيمي حضاري (إسلامي) كان يبدو في نظر طلبتنا مثالياً، لا وجود له في الواقع، وهو الأمر الذي كان يفرض الاجتهاد في شرح كيف أن «القيم» ليست مثاليات مجردة ولكن هي منطلق لتحديد أوجه الحركة وغايتها، وهي ميزان للتقييم، ومن ثم معيار لإحداث التغيير المطلوب. ومن هنا فإن «القيم» هي إطار مرجعي ممكن

بمفاهيم «الاعتدال» و«التطرف» لتجعل من الممانعة والمقاومة نقىضاً للاعتدال والوصطية والعقلانية وما إليه. ولتكن المحصلة خذلاناً لـ«الأمة» مفهوماً ووعياً وسعيًا، ويكون نصيحتها التحني لا التبني. ثارت هذه المعارك في أجواء غزة المعتمد علىها وما دار حولها من خطاب رسمي بارد، ووُقعت غزة بين: لغة الفؤاد النازف ولغة العقل الوازف... وممضت فيها ستة الألوف، في ولع المغلوبين بالغالبين إلى الدرجة التي أحالت في المخيلة العامة والواقع ممكنتان العرب والمسلمين إلى مستحبلات، ومستحبلات إسرائيل إلى ممكنتان بل واجبات.

٣- ميّزت الأزمة الموقف الفلسطيني بين المقاومة في غزة، والمهايدة في الضفة على مستوى السلطة، ورصدت واقع المقاومة التي لم تكن حماس وحدها هي الناهضة بها. رصدت المقاومة بين المقومات المادية والقيمية والآليات: العسكرية والسياسية والإعلامية، ورأت أن التعاطي غير الاستراتيجي وغير المسؤول مع العدوان أدى إلى توسيع الشُّقّة بين القوى الفلسطينية، واستمرار السجال على خيار «المقاومة»-«السلطة». لقد نجحت المقاومة في الصمود، وفي إثبات أن نظرية الأمن الإسرائيلي لن تعود إلى ما كانت عليه، وأن إرادة الشعب لا تتكسر بسهولة، بل هي التي تكسر القيود، وتغير المواريث والمعادلات...

خاضت المقاومة -ولا تزال- معركة بقائهما، ومعركة شرعيتها، ومعركة أهليتها ومصدقتيها، ومعركة البحث عن محضنها الآمن ومستنداها الفاعل... ولا يزال طريقها غير معبد ولا ممهد، بل هو مليء بالأشواك والعقبات ولا بد من اقتحام العقبة. وإذا كان موقف السلطة الرئيسية وفتح لم يزل يطرح الكثير من الأسئلة ومحاولات الاستيعاب، إلا أنه مما لا شك فيه أن إدارة القوى الأخرى للحوار تتحمل المسئولية بالقدر نفسه في تفويت هذه الفرصة وسد هذه الثغرة.

لقد أثبت الشعب الفلسطيني العظيم في غزة والضفة وداخل حدود ١٩٤٨ -مسلمين ومسيحيين- أفراداً وعائلات ومؤسسات، أنه المقاوم الأول بامتياز، والصادم الذي يستهم منه الآخرون صمودهم وروح التضحية والتfanي. لكنه بات يحتاج إلى استراتيجية مقاومة شاملة تراعي احتياجات المجتمعية والمدنية والمادية، وضرورة تسيير مجريات الحياة قدر الوسع والطاقة، بالإضافة إلى تأمين النفوس والأرواح، وحفظ الكرامة والاستقلال.

٤- لا تزال ثمة تساؤلات تُطرح وتشير حول العلاقة بين الشعب (وبالأخص الشعب الفلسطيني) والمقاومة، ومدى مصداقية الحوارات الدائرة، وأهمية اعتماد المقاومة على تيار فكري رئيس يجمع المتاثر، وينظم الرؤى المختلفة. وتساؤلات عن مدى مسئولية المقاومة عن اندلاع العدوان ومدى نجاحها في

وحديّاً- على أطلالنا وأشلاءنا... إنها حلقة وراءها ذكرة مفعمة، وأمامها مستقبل لابد من استشرافه والاستعداد له. ولم يكن الصراع العربي- الصهيوني يوماً فلسطينياً صرفاً كما يحاول بعضنا الترويج له، فضلاً عن أن يختزل في حماس أو فتح أو غيرهما... إن ما تمثله إسرائيل وما يقف وراءها من امتدادات حضارية وثقافية، وتحالفات استراتيجية وسياسية وعسكرية، وكذلك ما تمثله فلسطين وغزة من معنى ومغزى لنا وللعالم من حولنا... لا يمكن لهذه الأبعاد أن تُبتسر في بُعد سياسي- عسكري أحادي مضيق، أو بعد إنساني عاطفي هلامي أو هائم... إن من ورائها عوامل تاريخية وثقافية وفكرية وأيديولوجية وسيكولوجية، تتضافر مع رؤىصالح وحسابات المكاسب والخسائر في صنع الواقع والتأثير فيه.

ومن ثم كان من أهم مشاغل هذا العدد من «أمتى في العالم» ومكاسبه، تحريك الأذهان والرؤى نحو مفهوم «الحضارى»، ودوره في إعادة تشكيل إدراكنا لمفاهيم: الدينى، والسياسي، والإنساني، والعلائى، والمشترك والخصوصية، والقيمية، والمصلحة، والمقاومة والعدوان، والقوة الناعمة والقوة الصلدة، والقانون، والواقع والمثال، والنظر والعمل،... إلخ هذه الثنائيات المتجاذلة التي لابد من نقلها من حال التجاذب والجدل عليها، إلى حال جدلها ووصلها في رؤية تجعل من القيمى والواقعي عينين تتساندان للنظر، بلا حولٍ ولا عَوْرَ.

٢- لقد أثبتت الأحداث منذ توقف العدوان الغاشم على غزة، وشروع الجميع في الحديث عمّا بعد غزة، من إعادة إعمار، وحوار فلسطيني- فلسطيني وتقليم أظافر المقاومة، وما إلى ذلك... أثبتت أتنا والعالم من ورائنا لدينا قابلية كبيرة وعميقة على للنسوان، والتجاهل، وإهالة التراب على ما جرى، فضلاً عن إغواء وعيينا بأيدينا وصرفه عن قراءة المعنى والمغزى لما وقع بأهل غزة... بل للعودة إلى أسوأ مما كان قبل غزة، بحجة أن الخلاف الفلسطيني- الفلسطيني هو بيت الداء وسبب البلاء، دون إشارة إلى جرائم الحرب، وواقع الاحتلال والحاصار. ومن هنا كان لابد من حفظ الوعي، وتعزيز صموده وقدرته على الاستدعاء والاسترجاع، وأخذ العبرة والخبرة وال فكرة.

ومن هنا أيضًا كان لابد من الانتباه إلى حزمة المارك الأخرى التي دارت على ضفاف الحدث: وعلى رأسها «حرب المعانى» و«الصراع على المفاهيم»، و«معركة الذاكرة الحية»؛ حين تُنتهك حرمة مفاهيم المقاومة، والعدل، والحق (حق إسرائيل المغتصبة في الدفاع عن نفسها المصطنعة ضد المقاومة التي توصم بالإرهاب وبكل نقيصة!)، وحين تُحتل كلمات مثل السلام والرشاد وتحل محل مفاهيم مثل الصالح والصلاح والمصلحة؛ وتنظم كلمات كالجهاد والنصرة، وتتلاءم السياسة

وانقسمت النخب السياسية والفكرية والإعلامية على أنفسها، بشكل غير مسبوق، وبدت أغلب المواقف الرسمية عاجزة ومقيدة دون المستوى الأدنى، الأمر الذي زاده الانقسام والتقانف والتناقض بالسواءات سوءاً وتريدياً... وفيما كان الموقف المصري - وال رسمي بالخصوص - مثار إشكالات وسجالات جمة، فإنه في النهاية بدا الموقف أو الطرف الوحيد الذي يفعل شيئاً ما على أرض الواقع، وإن كان فعلاً ونشطاً في أدنى مستوياته... و من ثم فنحن بحاجة إلى تحديد مفهوم «الدور» و«الموقف» والعلاقة بين الفرد فيه والجماعي على مستوى الأمة العربية والإسلامية، وتحديد ثوابت الدور القائد ومتغيراته، ومعايير التعامل مع الفرص والتحديات، والضغوط والإمكانات، وكيف يمكن أن تتشارك الشعوب والنخب مع نظم الحكم في تقدير الموقف وحساب المصالح والمخاطر، وتفعيل الرجوعية الجامعة الدافعة.

لقد اقتصرت الأنظمة على الإدانة للعدوان، دون أن تدعم المقاومة اللهم إلا كما أوجز الأمر في: المساعدة بالأموال والواسطة بالأقوال، والحد الأدنى من الأفعال. وبينما قمعت أنظمة عربية حركة شعوبها وبعض الفعاليات المظاهرة لغزة و مقاومتها، فإن أنظمة أخرى دفعت بالفعاليات الشعبية للشارع ووظفتها ضمن سياستها التي لم يكن منها أي دعم مباشر للمقاومة. ومن ثم تميز الموقف العربي بما يلى:

- الفصام على المستوى الرسمي بين القول والعمل، والخطاب والممارسة.

- الفصام في كثير من الأنظمة بين الموقف الرسمي والموقف الشعبي

- الفصام غير الرسمي بين محورين خطابيين: أحدهما مؤيد للمقاومة، والآخر مؤيد للسلطة المهاينة.

- الفصام والفجوة بين إرادة المجتمع المدني العربي العالية (أو نفسيتها المنفعلة) وبين قدراته على التأثير في الأنظمة وقراراتها وموافقتها. انقسام النخب على أنفسها بين تأييد الاتجاه الرسمي وتراجيع التوجه الشعبي.

- إجماع رسمي على أن وقف العدوان يكون من خلال الوسطاء العالبيين: القوة المتعاظمة وأوروبا والأمم المتحدة، ولم يتخد إلا الأقلون موقفاً خاصاً تسعى للضغط الرمزي على إسرائيل، مثل موريتانيا، وقطر نسبياً.

- كثرة المزايدات البينية واندلاع المعارك الجانبية دون أي اعتبار لوطأة الحدث وما ينفي الانشغال به؛ الأمر الذي مثل ملهاة ومساءةً اجتمعتا مع العدوان في زيادة معاناة أهل غزة.

ومن ثم كانت حصيلة الموقف العربية المؤثرة في مجريات الأمور هي التي اتخاذها القادة والحكومات وبالخصوص محور التهدئة والواسطة.

إدارته: ما النصر؟ وما الهزيمة؟ وما معايير كلّ منهما. وإن للمنظور الحضاري - مقارنة بالمنظورات الأخرى - رؤية في ذلك تجلت في الوقوف أمام العدوان على لبنان، وغيره.

5- لقد زادت الأزمة كشفاً لأوراق الكيان العدو الاستيطاني العنصري، وكيف اتفقت كلمة قوى الداخل الإسرائيلي: حكومة وأحزاباً وصحافة وشعباً على مؤازرة العدوان ومناصرة مجرمي الحرب في اغتيال النفوس وسفك الدماء وهدم البنائيات... الأمر الذي أكد الاستفهام والتساؤل عن مفهوم «المدنيين» و«الأبراء» في هذا الكيان.

اجتمع خطاب العدو وما ارتبط به من ممارسات وحركة مصاحبة للعدوان العسكري، على الاستهانة بالتوسلات المختلفة بوقف العدوان أو مراعاة الأطفال والنساء، والاستخفاف بجميع مطالبات القوى الكبرى، والضرر بكل صلف وتعالٍ عرض الحائط بقرار مجلس الأمن ١٨٦٠ وغيرها من النداءات الصادقة والرازفة. لقد أفرطت إسرائيل في استخدام القوة الغاشمة، واستعملت الأسلحة المحرمة، واستهدفت المدنيين بأحدث الأسلحة المواجهة، وخاضت في الدماء اثنين وعشرين يوماً، وارتقت أصوات الإدانة من جهات غير مؤثرة، ثم ذهب كل ذلك أدراج الرياح... ليست القضية قضية ذاكرة وحسب، إنها قضية الإرادة: الإرادة بين الحقيقة والتحقق، وبين التأثر والانفعال حين تبرق ثم تحرق وتنطفئ جذوها.

6- إن وراء الدولة الصهيونية فكرًا دينياً وتاريخياً يتوجب الكشف عنه والوعي به، نظراً للاتساق الكبير بين تعالي رب الجنود وإله الحرب ومفاهيم شعب الله المختار، وأرض المعاد المقدس، ونبءات الانتظار، واليوم الموعود وإحياء الرؤى الواudedة والمتوعدة من تهديدات ومخاطر، وتقسيمات لهذه الروح المبالغ في عدائها الثابتة في همجيتها ووحشيتها. لقد أضحت من الأهمية بمكان رعاية الدراسات التي تفتتح في أعمق الفكر اليهودي والصهيوني ومستداته الدينية والأيديولوجية والنفسية. الأمر الذي حرست النقاشات على تمييزه عن وضع مسيحيي الشرق و موقفهم من العرب والمسلمين.

7- نعم لم يكسر العدوان وجبهته ومبركتوه، من إرادة المقاومة وروح الممانعة، لكنه كشف عن تجييش العالم أو معظم من ورائها، وأن محاولات المكر والقهر لاستئصال شأفة المقاومين في الأمة لا تزال وسوف تكون هي شغل الأجل القريب، فماذا أعدت الأمة والمقاومة لذلك: وعيًا وعزماً وسعياً؟ هذا هو السؤال الرئيس والمطلب الأول الذي تفرضه الأحداث.

8- أسفرت الموقف العربي عن حالة هي من أوهى اللحظات العربية - وبحسب ما عبر عنه كثير من زعماء الدول إبان الأزمة - فقد ارتبت الخطابات وتضاربت التحركات، وتواجهت المواقف الرسمية مع الموقف الشعبية بدلاً من أن تجمعها المحبة،

والتعزيز لموافق المهاجرين ومبادراتهم وخاصة السلطة
الفلسطينية وحكمتها وشرعيتها.

١١- حصل الدور المصري - بطبيعة الحال - على النصيب الأكبر من اهتمام الحوارات والنقاشات التي أثارتها الأوراق والتقارير، وتبينت المواقف تجاهه وتدخلت بعض المعاني والعبارات بما خلاصته، التي نؤكدها:

- أنه لا للمزيد على الدور المحوري لمصر ليس في القضية الفلسطينية وحدث العدوان على غزة فحسب، وإنما في قيادة الكيان العربي، وحفظ فاعلية الوجود الإسلامي. فمصر كانت وما زالت تملك من الإمكhanات ما يجعلها ركناً وشرطًا، وفرضًا وواجبًا، وأصلًا لا فرعًا، وعمادًا رئيسًا لا أمراً ثانويًا. ومن ثم فحديث المزيد مثله مثل حديث التراجع عن الدور والدعوة إلى الإيواء والاستدفاء في داخل الحدود... كلاهما لا يعرف قدر مصر ومكانتها.

لا يمكن ولا يصح أن يكون المطلوب من مصر أو سوريا أو غيرهما أن يكون الموقف من العدوان على الفلسطينيين هو الحرب والدخول في صراع عسكري وإلا فلما إن قصر الفاعلية على هذا وحده يقع بين النزق السياسي والتلاعيب. فإن أكثر المخللين والدارسين والساسة يرون أن دون ذلك أموراً كثيرة كان يجب أن يكون الموقف الرسمي المصري فيها أشد وضوحاً، وأكثر جرأة، وأعمق انتقاماً للعرب والفلسطينيين، وليس أقل من وقف ضخ الغاز المصري إلى إسرائيل أو تأجيله أو تعطيله، وليس أقل من تأييدٍ صريح للمقاومة بغض النظر عن الخلافات الجزئية، وليس أقل من التهديد بقطع العلاقات أو سحب السفير المصري أو حتى استدعاء السفير الإسرائيلي. هل استعملت مصر أوراقها فعلاً؟ وهل هذه هي كل أوراقها؟ وليس من العيب مقارنة ما فعلته مصر وغيرها من النظم العربية بما فعلته وقالته فنزويلا-شافين!«

إذا كان كثيرون قد زايدوا على الدور المصري، فإن من الأمور التي لا تزال محل تساؤل واستفهام حقيقي: الموقف المصري-السعودي من القمة الطارئة قبل أن تكون قمة الدوحة؛ الأمر الذي يفتح المجال أمام التساؤلات عن مصير العمل العربي المشترك بعد هذه المحنة والأداء العربي-وفي قلب مصر!!

١٢- إن مؤسسات الأمة، ومؤسسات الدول خارجها والمؤسسات الدولية: الإقليمية والعالمية... لم تكن أكثر من مظاهر لسياقاتها السياسية والحضارية، فقد أبرزت الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والقمة العربية واللقاءات الوزارية والبيانات والتحركات... إلى أي مدى متراجعاً وصل «العمل المشترك» العربي والإسلامي». لقد صار أشبه بالعمل المفترق لا المشترك،

-٩- أما سائر العالم الإسلامي، فقد برزت فيه أطراف وأطياف بين الفاعلية العالية التي مثلّها النموذج التركي حكومة وشعباً، وبين نماذج أقل، ونماذج أشبه بالحالة العربية النموذجية (نظام مهادن وشعب منفعل مناصر للمقاومة)، وبين نماذج بعد تفاعلها مع الحدث بأكثر مما بعُدَّ المسافة المكانية بينهم وبين الأرض المقدسة. وفي هذا الصدد يمكن ملاحظة الآتي:

- إذا كان الموقف التركي قد اتسق فيه الخطاب مع الممارسة، والحكومة مع الشعب فإنه في النهاية لم يفعل شيئاً أكثر من تشويط التحرّكات وقيادة المواجهة الإعلامية المحسوبة، لا سيما وقد انضوى في النهاية ضمن المبادرة المصرية.

- بينما عبر الأفغان والباكستانيون عن رابطتهم العقدية، ومناصرتهم المعنوية، فإن نظامي الدولتين ما حرّكا ساكناً بل ربما حاولت باكستان أن توظف الحدث للإطلاع على واقع كشمبل الشبيه.

- أما آسيا الوسطى وقاربة الإسلام فقد غشي الوهن انفعالهم - مجرد الانفعال- بالحدث، فلم تُظهر الفعاليات الشعبية نفسها -فضلاً عن الرسمية- بذات قيمة أو معنى.

- أما الأقليات المسلمة في الغرب فقد أكدت غزة وأرمتها استمرار واقعهم المضطهود وحالهم المتأزم بين معطيات البيئة الغربية ومتطلباتها، وبين مقتضيات الرابطة العقدية بالأمة، والتعاطي الإيجابي مع قضاياها. وعلى رغم التنوع في الرؤى والقدرات والسياقات الحافزة أو المحجّمة.. فإن الغرب في النهاية كان هو الحليف الأعظم للعدوان، بل خزان وقوفه المعنى والمادي.

١- وبينما تحكمت في عالمنا العربي والإسلامي عقلية الوهن ودعاوي العجز، فإن القوى الكبرى والمعاظمة كانت تعرف طريقها، وتبني مواقفها وفق مسار سابق وممتد في العقود الثلاثة الماضية، وبناء على معايير أسهمت في دعم جانب المعتدين، وتثبيط وتخذيل بل مهاجمة المقاومين والفرائس. فقد تماهت الإدارة الأمريكية والقوى الأوروبية المتقدمة مع أفاوبل إسرائيل، وتطوّعت بالترويج لمبرراته الكاذبة ودعواه الزائفة... وصادقت على ذلك قوى الدرجة الثانية، وتحدّث الجميع عن «المسؤول الأول» عن إسقاط التهدئة، ولم ينس أي منّهم أن يزین قبّح منطقه بشيء من حديث الإنسانية والعطف على الشعب المظلوم المخطوف من قبل من حماس والمقاومة، وإحياء التقدير

مثل ذلك، الشق الأبيض - وإن كان الأضعف - من مواقف الأمة والعالم من العدوان والمقاومة. إن اقتصر أغلب فعاليات الشعوب والرأي العام على البعد الإنساني العاطفي ينبعى إلا بقل من دوره وأهميته، خاصة إذا كان نسعى - باقتدار - لتحويل الإنساني إلى سياسي وتعزيزه بروية حضارية جامدة ودافعة نافعة للأمة وللإنسانية المضطهدة عبر الكوكب.

إن الشعوب والرأي العام العالمي - وإن كانت لا تشكل قوة متماسكة وت فقد الرأس النظم والمحرك - وإذا كان دأب النخب هو الانقسام؛ لتعقد الاعتبارات التي ترتبط بها هذه النخب، فإن الشعب التي تتسم ببراءة الفطرة الإنسانية، قدمت صورة أخرى للعالم، وصورة أخرى للأمة، غير الصورتين اللتين يسيطر عليهما المشهد السياسي الرسمي.

١٤- يشكل البُعد الاقتصادي - مثل السياسي والعسكري - بعداً مهماً في بناء التصور الكلي للعدوان ومداخله ورواده ومعضداته، وكذلك فيما يتعلق بالمقاومة. فلقد تداخل الاقتصاد فيما قبل العدوان حيث الحصار والتوجيع، وأنباءه، حين دخل الاقتصاد في الحرب على غزة والضغط على المقاومة، واستمر، بل بربَّ أكثر بعد توقف العدوان تحت عنوان "إعادة الأعمار"، وما ارتبط بها ومن تفصيل المزيد على الوضع الفلسطيني الداخلي، وتراجع الإنساني فيما وراء السياسي في محاولة لبناء وتطبيق هندسة الإذعان، واستعمال عمارة البنيان في استدلال وإهانة الإنسان وتسييره لا تكريمه... الأمر الذي يُبرِّز في النهاية ويؤكِّد أهمية الرؤية التكاملة والنظرية الواسعة بين سائر المجالات: ما كان منها من طبيعة مادية وما كان من طبيعة قيمة. ومن ثم فلا بد من التأصيل للاقتصاد السياسي للمقاومة ليس على مستوى غزة وحدها، بل على مستوى الأمة المقاومة كلها، بعد أن جرت عملية تغطية على بحث حالة الدمار (المتسبب فيها العدوان الإسرائيلي). إن الاقتصاد السياسي للمقاومة هو مقلوب «الاقتصاد السياسي للإذعان والوهن» الساعي لفك ارتباط الإنسان بقضايا المصيرية والمحورية والوجودية والاستراتيجية.

وبعد..

إن ما انتهت إليه مسيرة هذا العدد بأوراقه ونقاشاته يقر أن العدوان على غزة، وعلى المقاومة، وفلسطين لم يكن سوى حلقة في مسار العدوان على الأمة ومقوماتها ومقاومتها وممانعتها... عدوان على الدين والنفس والعقل والنسل والمال... أنه آن الأوان أن نقف وقفـة مع النفس، نتبصر بها الحال، ونستشرف بها المآل، من منظور يتسع ومرجعية الأمة ومصالحها الحيوية... وهذا ما حاولنا الإشارة إليه وإضاءة بعض جنباته... والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

أو العمل الذي يأكل بعضه بعضاً، ولقد التحقت بهم الأمم المتحدة ومجلسها الأمني العالمي مع سمة خطابية إنسانية. هذا فيما كان الناتو - مثلاً - يعرف ما يقول وما يفعل، واحتار إلا يفعل؛ إذ الحليف متتفوق ولا يحتاج إلى معاونـة... ولا تزال أزمة المؤسسات في الأمة والعالم رهنـا بأزمة الداخل الإسلامي: أنظمـة ومجتمعـات، وأزمة العالم في ظل اختـلافـه في القـارب الأمريكي. لقد أـبرـز المنظـورـ الحـضـاريـ في ذلك جـدلـيةـ الإـرـادـةـ والإـدـارـةـ، فإذا غـابـتـ الإـرـادـةـ، فـسـدتـ الإـدـارـةـ.

وبالـمـثلـ وـقـعـتـ مؤـسـسـةـ الـعـلـمـاءـ أوـ المؤـسـسـاتـ الـديـنـيـةـ فـيـ برـائـنـ هـذـاـ الـوـاقـعـ الجـائـرـ مـسـتـحـكـمـ الـحـلـقـاتـ بـفـعـلـ (ـجـغـرافـيـةـ الـمـؤـسـسـةـ). فـلـقـدـ تـنـوـعـتـ اـسـتـجـابـاتـ الـطـلـمـاءـ بـيـنـ الـخـطـابـ الـحـرـكـةـ، الـفـرـدـيـ وـالـمـؤـسـسـيـ وـالـجـمـاعـيـ، فـصـدـرـتـ فـتاـوىـ مـتـضـارـيـةـ، وـدـعـوـاتـ لـلـجـهـادـ، وـدـعـوـاتـ لـلـتـزـامـ الـهـدـوـ، وـضـبـطـ الـنـفـسـ، وـدـعـوـاتـ لـلـدـعـمـ الـعـسـكـرـيـ، وـدـعـوـاتـ لـلـدـعـمـ غـيرـ الـعـسـكـرـيـ، وـتـحـرـكـ وـفـدـ اـتـحـادـ عـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ لـيـلـقـيـ السـاسـةـ وـيـحـاـولـ أـنـ يـحـرـكـ الـرـاكـدـ...ـ لـكـنـ الـخـلاـصـةـ أـنـ قـرـةـ مـؤـسـسـاتـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ التـأـثـيرـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـحـنـ تـبـقـيـ مـحـدـودـةـ إـذـاـ كـانـ الـمـخـاطـبـ وـالـمـعـنـىـ هـوـ النـظـمـ، فـيـمـاـ تـلـعـوـ قـدـرـتـهـمـ عـلـىـ تـحـرـيـكـ الـعـقـولـ وـالـشـاعـرـ لـدـىـ الـشـعـبـ.ـ ثـمـ كـانـ غـزـةـ كـاـشـفـةـ عـنـ الـفـوـارـقـ بـيـنـ الـمـؤـسـسـاتـ الـرـسـمـيـةـ وـغـيرـ الـرـسـمـيـةـ، وـدـرـجـاتـ الـقـيـودـ، وـكـاـشـفـةـ عـنـ فـهـمـ اـتـجـاهـاتـ فـكـرـيـةـ مـخـتـلـفـةـ لـلـسـيـاسـيـ وـالـدـينـيـ وـالـعـلـاقـةـ بـيـنـهـمـ، بـمـاـ قـدـ يـتـلـاقـيـ فـيـهـ مـتـشـدـدـونـ إـسـلـامـيـونـ مـعـ الـمـنـطـقـ الـعـلـمـانـيـ.ـ وـتـبـدـتـ نـمـاذـجـ تـبـعـيـةـ، وـنـمـاذـجـ تـفـارـقـ، وـخـطـابـ نـابـ وـخـطـابـ تـابـ.

وبالـمـثلـ أـزـرـتـ الـمـؤـسـسـاتـ الـمـسـيـحـيـةـ مـوـاـقـفـ التـنـديـدـ بـالـعـدـوـانـ بـالـصـلـوـاتـ وـالـمـقـالـاتـ وـالـكـثـيرـ مـنـ الـخـطـابـاتـ وـالـمـارـسـاتـ الـرـمـزـيـةـ وـالـمـواـسـاةـ الـمـادـيـةـ، وـتـمـيـزـتـ الـمـوـاـقـفـ الـقـبـطـيـةـ فـيـ ذـلـكـ، لـكـنـهاـ مـثـلـ الـمـؤـسـسـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ لـمـ تـمـكـنـ مـنـ مـارـسـةـ أـيـ تـأـثـيرـ عـلـىـ الـجـهـاتـ الـسـيـاسـيـةـ الـرـسـمـيـةـ وـالـفـلـسـطـيـنـيـةـ وـالـلـبـانـيـةـ.

لـقـدـ اـنـقـضـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـؤـسـسـاتـ الـحـقـوقـيـةـ وـالـإـغـاثـيـةـ، وـكـانـ خـطـابـهاـ زـاعـفـاًـ،ـ وـلـكـنـ التـحـرـكـاتـ تـرـاجـعـتـ أـمـامـ حـائـطـ الـصـدـ الـأـمـرـيـكيـ-ـإـسـرـائـيـلـيـ.ـ كـلـ ذـلـكـ أـبـرـزـ أـهـمـيـةـ الـبـعـدـ الـدـنـيـ الـمـجـتـعـيـ فـيـ إـدـارـةـ الـصـرـاعـ الـعـرـبـيـ-ـإـسـرـائـيـلـيـ،ـ وـأـهـمـيـةـ دـعـمـهـ حتىـ يـصـيرـ ذـاـ قـدـرـةـ عـلـىـ مـارـسـةـ تـأـثـيرـهـ وـفـاعـلـيـتـهـ فـيـ مـجـرـيـاتـ الـأـمـورـ وـتـوـجـيـهـ الـمـوـاـقـفـ.ـ إـنـ عـسـكـرـيـةـ الـعـدـوـانـ لـمـ تـحـلـ دونـ مـحاـوـلـاتـ وـجـهـودـ فـكـ الـحـصـارـ وـإـيـصالـ الـمـسـاعـدـاتـ الـتـيـ يـنـبـغـيـ أـلـاـ تـبـخـسـ.

١٣- أـمـاـ دـورـ وـحـرـكـةـ الـشـعـوبـ وـالـرـأـيـ الـعـالـمـ،ـ فـقـدـ كـانـ مـنـ أـهـمـ الـمـعـالـمـ الـإـيجـابـيـةـ لـلـتـعـاطـيـ مـعـ الـحـدـثـ مـنـذـ يـوـمـهـ الـأـوـلـ.ـ لـقـدـ